مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها،
فصلية محكمة، العدد ٢٧، الصيف ١٣٩٢ هـ.ش/
٢٠١٣ م؛ صص ١-١٦

استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) في شعر يحيى السماوي

رسول بلاوي[١]، مرضية آباد[٢]*

١- دكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة فردوسي مشهد
٢- أستاذة مشاركة، في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة فردوسي مشهد

mabad@ferdowsi.um.ac.ir

تاريخ استلام البحث: ١٣٩١/٠٧/٢٢ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٢/٠٣/٢٧

الملخّص:

يعد استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر من الظواهر التي تستخدم لإثراء النص الأدبي؛ فهذه الشخصيات بما فيها شخصيات أهل البيت (ع) وفقاً للظروف الخاصة التي مرّت بها، تحمل في طياتها دلالات و رؤى جديدة تساهم في خصوبة النص و إثرائه. وقد حاول الشاعر العراقي يحيى السماوي أن يجعل من استدعاء هذه الشخصيات، أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات، و تكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذي يسعى إليه. فقد ورد هذا الاستدعاء في شعره بكثافة و انزاح عن معناه الحقيقي ليحمل رؤى رمزية جديدة؛ و الشخصية التي حاولنا رصدنا في تجربة السماوي هي شخصية الإمام الحسين بما تحمله من إيحاءات رمزية و ثيمات دلالية؛ فقد استدعى الشاعر هذه الشخصية كرمز خالد للتضحية و الفداء من أجل المبدأ / الدين، و رمز الباحث عن العدالة و نُصرة المستضعفين في وجه الجبروت.

هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي – التحليلي، ترصد استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) و دلالاتها في تجربة الشاعر، و ما تحمله هذه الشخصية من دلالات رمزية في شعر السماوي. و في هذا البحث اعتمدنا على ثلاثة من دواوين الشاعر و هي "هذه خيمتي.. فأين الوطن"، و "نقوش على جذع نخلة"، و "لماذا تأخرت دهراً".

الكلمات الرئيسة: الشعر العراقي الحديث، يحيى السماوي، التراث، الرمز، الإمام الحسين (ع).

١. المقدمة

لقد شهدت ثمانينيات و تسعينيات القرن الماضي في العراق أعلى معدل للتهجير و النزوح، حين سيطرت شراهة العدوان على نظام البعث و جلّاديه الذين استلبوا حق الوجود من كل مسالمٍ رفع

Archive of SID
www.SID.ir

صوته بـــ "لا" للطغاة و للطغيان، و كان الشاعر يحيى السماوي واحداً من تلك الأصوات المناهضـــة للبعثيين؛ فقد تعرّض للمطاردة و الحصار و السجن و التعذيب، قبل أن ينجح في الفرار مـــن العـــراق عقب فشل الانتفاضة الشعبية عام ١٩٩١م. فرّ السماوي من العراق ليستقر في الســـعودية محـــررا في إذاعة صوت الشعب العراقي المعارضة لنظام صدام حسين والتي كانت تبثّ من مدينة جدة مواصـــلا نضاله الإعلامي فيها حتى عام ١٩٩٧م، حيث انتقل ليقيم في "أديلايد" بأستراليا حتى وقتنا هذا، و قد صدر للسماوي الكثير من المؤلفات الشعرية و النثرية في المنفى، و مازال حتى كتابة هـــذه المقدمـــة يواصل عطاءه الأدبي مجابهاً كل أشكال الظلم والتعسّف والاحتلال للعراق، بل و للكيـــان العـــربي و الإسلامي بمختلف أقطاره، متفرداً في طبيعة إبداعه في المنفى تفرداً رشّحه لأن يكـــون محـــور هـــذه الدراسة.

يعد يحيى السماوي من أبرز شعراء الحداثة في المرحلة الراهنة؛ فكان ولا يزال يضطلع بدور ريادي في نشر الوعي وفضح ممارسات السياسة الانهزامية للسلطة وللغزاة المحتلين. ومما لا شك فيه أن هـــذا الشاعر شاعر موهوب، مجدد و منفتح على لغة الحداثة. ومن يتصفّح دواوينه الشعرية سوف يستشف من شعره أصالة ثقافته، ثم إبداعه في استدعاء الشخصيات التراثية وإلحاحه على ترديدها. فقد وجـــد السماوي في هذه الشخصيات دلالات و إيحاءات خصبة تنقل المتلقي من المستوى المباشر للقصيدة إلى المعاني الكامنة وراء النص، كما تقوم باستكمال ما تعجز الكلمات المباشرة عن بيانه؛ فالتعبير بـــالرمز ومعطيات التراث تعطي زخماً وغنىً وخصوبةً للنص الشعري وأصالةً لأدب الأديب، وهذا مـــا دأب عليه الشعراء المعاصرون.

لم يكن هذا الاتجاه الرمزي جديداً في الشعر العربي، وإنّما سار يحيى السماوي على خُطى الشعراء المعاصرين في التعبير عمّا لم يستطيعوا أن يبوحوا بهِ، فالظروف الصعبة والمناخ المظلم الـــذي أحـــاط بالشعراء حدت بهم إلى لغة الرمز ومواصلة النضال الشعري، لأنّ التصريح بالأفكـــار والأحاســـيس الكامنة ربّما يعرّض صاحبها للاعتقال أو السجن أو القتل ولهذا السبب لجأ الكثير من هؤلاء الشعراء إلى الرمزية والاستعانة بالتراث. و السماوي نهلت لغته كثيراً من خصوبة التراث و الرمز في مســـيرتها النضالية. فقد وظّف شخصيات دينية في شعره بصورة تلميحية لإثراء نصوصه و نقل مضمونه للمتلقي مشحوناً بروح معنوية. و للشاعر طاقة إبداعية في توظيف هذه الشخصيات بحيث تتناسب مع الحاجة العصرية، و كونها أحد الروافد السخية والخصبة التي تمده بما يحتاج إليه من رموز وصور وتراكيـــب، بسبب ما يزخرهذا الرافد به من عطاء وثراء؛ فساحة الرمز في الشعر واسعة و آفاقه رحبـــة و طاقتـــه

Archive of SID

www.SID.ir

الايحائية كثيفة، و لهذا قام يحيى باستدعاء الإمام الحسين (ع) و أضفى عليه جانباً رمزياً و دلالات جديدة تتفق و رؤيته عبر تأريخ الإمام الزاهر؛ لأن الرمز ينطوي على معانٍ ودلالات عظيمة في حياة الفرد، ويكون أشد تأثيرا عندما يقترب من التقديس والهيبة. فيفرض على الفرد أن يحتفي به ليعبر تعبيراً حقيقياً عن تلك المعاني، خصوصاً إذا كانت قيمة الرمز تتسامى على الوجود المادي للمرموز له. فأهل البيت (ع) في موقفهم البطولي فرضوا على الملأ وجوداً ذا قيم عالية جدا بحيث أصبحوا رمزاً لكل القيم في سبيل المبدأ الذي آمنوا به.

في هذه الدراسة نطرح أربعة أسئلة و سوف نعالجها خلال عملية النقد و التحليل التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة و هي أولاً: ما هي الفائدة من التعبير بالرمز والتراث الديني و ما مدى فاعليتهما في شعر يحيى السماوي؟ ثانياً: ما هي أسباب ومبررات الشاعر في توظيف شخصية الإمام الحسين (ع)؟ ثالثاً: ما هي الدلالات التي يحملها هذا التوظيف في شعره؟

أما المفروضات المقترحة هنا و التي نحاول مناقشتها أثناء البحث هي:

– الرموز التراثية من أغنى الوسائل الفنية المشحونة بطاقات إيحائية و القادرة على تجسيد تجربة الشاعر ونقلها إلى المتلقي.

– من أبرز الشخصيات التراثية التي استحضرها الشاعر في منجزه الشعري هي شخصية الإمام الحسين (ع)، فقد وجد السماوي في استدعائها طاقات إيحائية خصبة و غنية للتعبير عن أفكاره.

– هذه الشخصية تدلّ في ذاتها على الرفض و الصمود و التحدي و النضال و مكافحة الظلم و الطغيان.

٢. خلفية البحث

ثمة دراسات أنجزت حول أدب السماوي نخصّ منها بالذكر كتاب حسين سرمک حسن، المعنون بـ إشكالية الحداثة في الشعر السياسي: يحيى السماوي أنموذجاً، و كتاب محمد جاهين بدوي بعنوان العشق و الاغتراب في شعر يحيى السماوي، و كتاب فاطمة القرني المعنون بـ الشعر العراقي في المنفى السماوى نموذجاً، و كتابي عصام شرتح: آفاق الشعرية، دراسة في شعر يحيى السماوي و موحيات الخطاب الشعري: دراسة في شعر يحيى السماوي. و البحوث التي تناولت تجربة السماوي الشعرية في إيران، قليلة جدا منها: رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في جامعة إعداد المعلمين بمحافظة آذربايجان وعنوانها مفاهيم المقاومة في شعر يحيى السماوي باللغة الفارسية للطالبة ليلا جباري كيلانده و

Archive of SID

www.SID.ir

بإشراف عبدالأحد غيبي؛ و رسالة أخرى على مستوى الماجستير في جامعة رازي بمحافظة كرمانشاه و عنوانها الأسلوبية في شعر يحيى السماوي للطالب بهنام باقري و بإشراف يحيى معروف.

أمّا الدراسات التي أفردت لأهل البيت (ع) في الشعر نخصّ منها بالذكر: كتاب امام حسين در شعر معاصر عربي للكاتبة أنيسة خزعلي؛ و رسالة جامعية بعنوان أهل بيت در اشعار شيخ هاشم كعبي دورقي للباحثة مهناز بحراني من جامعة سبزوار؛ و مقال تحت عنوان "أهل البيت عليهم السلام في شعر كشاجم حفيد" لـ "سيد محمد رضي مصطفوي نيا و محمد عابدين بايگان المنشور في فصلية دراسات الأدب المعاصر؛ و مقال آخر بعنوان «تعهد ولايي در شعر شيعي صدر اسلام» لـ حيدر محلاتي و تمّ نشر هذا المقال في مجلة شيعه شناسي.

و إنّنا تطرّقنا في هذه الدراسة إلى استدعاء شخصية الإمام الحسين في شعر الشاعر العراقي يحيى السماوي كنموذجٍ للشخصيات التراثية التي ترد كثيراً في منجزه الشعري، و ركّزنا على أبرز دلالات هذه الشخصية و إفرازاتها الرمزية في النص الشعري.

٣. استدعاء التراث في الشعر المعاصر

التراث مصدر سخيّ من مصادر الإلهام الشعري، بحيث يستمدّ منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية؛ و الأدب العربي المعاصر حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصيات تراثية. فلهذا يعدّ التراث في الأدب العربي المعاصر مصدراً أساسيّاً من المصادر الثقافية والقيم الإنسانية التي عكف عليها الشعراء المعاصرون، و استمدوا منها شخصيات تراثية عبّروا من خلالها عن جوانب من تجاربهم الخاصة.

لقد أدرک الشعراء المعاصرون أنّ التراث مصدر غني وهام يتوجب عليهم أن لا يستغنوا عنه. فكثيراً ما قاموا باستدعاء الشخصيات التراثية في شعرهم بغية توظيفها في بنية النصّ، بما تحمله من دلالات وإشارات تنمّي القدرة الإيحائية للقصيدة. فاستدعاء هذه الشخصيات يعتبر من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشعراء في قصائدهم، لتمنحها حمولة فكرية و وجدانية لا تخفى على المتلقي، لأن الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن و الوجدان إيحاءات دلالية و عاطفية، تفرض على القارئ نوعاً من التماهي معها، بما تمثله في وعيه و لاوعيه الفردي و الجماعي من حضور و تأثير قويين.

و توظيف الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، يعني «استخدامها تعبيرياً لحمل بُعد من

Archive of SID

www.SID.ir

أبعاد تجربة الشاعر يعبر من خلالها ـــ أو يعبر بها- عن رؤياه المعاصرة» (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٣).

لقد شاعت الشخصيات التراثية / الرموز التاريخية في القصيدة العربية الحديثة، حيث عكف الشعراء على موروثهم، يستمدون من مصادره المختلفة — من موروث ديني، و صوفي، و تاريخي، و أدبي، و أسطوري أو فولكلوري - عناصر و معطيات مختلفة، من أحداث و شخصيات و إشارات، يبنون منها رموزهم.

فقد وجد الشاعر المعاصر رهن تصرفه تراثاً شديد الغنى متنوع المصادر، فأقبل على هذا التراث بنهم، يمتاح من ينابيعه السخية أدوات يثري بها تجربته الشعرية و يمنحها شمولاً و كلية و أصالة، و في نفس الوقت يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية و أكثرها قدرة على تجسيد هذه التجربة و ترجمتها و نقلها إلى المتلقي (المصدر نفسه: ٧٣).

٤. أهمية الاستدعاء و وظيفته

لقد أدرک الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانات يكون قد وصل تجربته بمعين لا ينضب من القدرة على الإيحاء و التأثير؛ و ذلک لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة و نوعا من اللصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي و دائم في وجدان الأمة، و الشاعر حين يريد الوصول إلى وجدان أمته بطريق توظيفه لبعض مقومات تراثها يكون قد توصل إليه بأقوى الوسائل تأثيرا عليه، و كل معطى من معطيات التراث يرتبط دائماً في وجدان الأمة بقيم روحية و فكرية و وجدانية معينة، بحيث يكفي استدعاء هذا المعطى أو ذاک من معطيات التراث لإثارة كل الإيحاءات و الدلالات التي ارتبطت به في وجدان السامع تلقائياً (المصدر نفسه: ١٦)، فليس غريبا إذن «أن نجد الشاعر يفسح المجال في قصيدته للأصوات التي تتجاوب معه و التي مرت ذات يوم بنفس التجربة و عانتها كما عاناها الشاعر نفسه (إسماعيل، ١٩٦٧م: ٣٠٧).

ولا بدّ أن نشير إلى أن توظيف أسماء الأعلام التاريخية / التراثية يتمتَّع بحساسية خاصة لأنَّ هذه الأسماء بطبيعتها «تحمل تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية، وتشير قليلاً أو كثيراً إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان» (مفتاح، ١٩٨٦م: ٦٥)؛ لهذا فإنّ إدراك القارئ لدلالة مثل هذه النصوص، التي تقوم بتوظيف أسماء الأعلام التراثية يتوقف على معرفة القارئ بهذه الشخصيات وإمكانية تعيينه لها من خلال السياق.

و الأحداث التاريخية و الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء

Archive of SID

www.SID.ir

وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلک دلالاتها الشمولية الباقية، و القابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ و أشكال أخرى؛ فدلالة البطولة في قائد معين، أو دلالة النصر في معركة معينة تظل – بعد انتهاء الوجود الواقعي لذلک أو تلک المعركة – باقية، و صالحة لأن تتكرر من خلال مواقف جديدة (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢٠)، إذ «إن التاريخ ليس وصفاً لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها، إنه إدراک إنسان معاصر أو حديث له، فليست هناک إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي» (ناصف، ١٩٨١م: ٢٠٥).

و هذه الدلالة الكلية للشخصية التاريخية، بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة هي التي يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته، ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية و الشمول، و ليضفي عليها ذلک البعد التاريخي الحضاري، والذي يمنحها لوناً من جلال العراقة.

و بالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار و القضايا و الهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي، و من ثم فقد انعكست طبيعة المرحلة التاريخية و الحضارية التي عاشتها الأمة العربية في الحقبة الأخيرة، و إحباط الكثير من أحلامها، و خيبة أملها في الكثير مما كانت تأمل فيه الخير، و سيطرة بعض القوى الجائرة على بعض مقدراتها، و الهزائم المتكررة التي حاقت بها رغم عدالة قضيتها..انعكس كل ذلک على نوعية الشخصيات التاريخية التي استمدها الشاعر المعاصر (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢٠).

و من الطبيعي أنّ الشاعر لا يتعامل مع التاريخ مثلما يتعامل المؤرخ الذي تهمُّه الحقائق التاريخية، فيمحّصها بحثاً عن تأكيدٍ لها نفياً أو إثباتاً. أمّا الشاعر فـ«يضفي عليها من ذاته و واقعه، و طبيعة الحالة النفسيّة التي دفعته إلى الاستعانة بجزء من التاريخ. و هو يتعامل معها على وفق قناعته بما تكتنفه هذه المادة التاريخية من قيمة معنوية و دلالة إيحائية يريد إيصالها إلى ذهن المتلقي و شعوره» (حداد، ١٩٨٦م: ٨٠).

٥. الرمز و إفرازاته الدلالية

يُعدُّ الرمز من أهمّ وسائل تشكيل الصورة الشعريّة؛ لاسيّما في العصر الحديث. و «الرمز بمفهومه الشامل هو: ما يمكن أن يحلّ محلّ شيءٍ آخر في الدلالة عليه، ليس بطريقة المطابقة التامّة و إنّما بالإيحاء، أو بوجود علاقة عرضيّة، أو علاقةٍ متعارفٍ عليها» (سليمان، ١٩٨٧م: ٣٢).

الرمز هو تعبير عن المعاني الكامنة في النفس التي لاتستطيع اللغة بصورتها المعتادة الكشف عنها ولذلك

Archive of SID

www.SID.ir

يعمد الأديب إلى استخدام إيحاء الكلمات وإيقاعها وظلالها ورسم صور ظليلة وتعبيرات مفاجئة ليضع القاريء في دائرة الشعور الذي يجب أن يوصله إليه وبعبارة أخرى يمكن القول إن الشعر الرمزي مجموعة من صور معقدة و غامضة خلقت عن قصد لإبعاد أذهان القارئين من الواقع و انتقاله إلى ما بعده حتى يصل من خلال هذه العملية إلى جوهر الفكر (فاطمة الزهراء، ١٩٧٨: ١٧٨).

أصبحت للرموز بكافة مستوياتها أهمية قصوى للشاعر، بحيث غدا استدعاؤها أمراً يثرى المضمون الشعرى، ويكشف عن المعاني التى يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة. فالرموز التراثية ومعطياتها لها القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، حيث تعيش هذه المعطيات في وجدانات الناس وأعماقهم، تحف بها هالة من القداسة والإكبار، لأنّها تمثل الجذور الأساسية لتكوينهم الفكري والوجداني والنفسي، ومن ثم فإنّ الشاعر حين يتوصل إلى إيصال الأبعاد النفسية والشعورية لرؤيته الشعورية عبرجسور من معطيات التراث والرموز، فإنّه يتوسل إلى ذلک بأكثر الوسائل فعالية وقدرة على التأثير والنفاد. هذا بالاضافة إلى أنّ استخدام الرموز ومعطياتها التراثية يضفى على العمل الشعري عراقة وأصالة ويمثل نوعاً من امتداد الماضي بالحاضر، وتغلغل جذور الحاضر في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّه يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكلية، بحيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر (حداد،١٩٨٦: ٧٤)؛ فبالتالي إنّ معطيات الرمز عامل مؤثر في إغناء الصورة وفي رفد أبعادها أبعاداً جديدةً وآفاقاً متنوعةً وكذلک فإنّ وجود الرمز يستحضر معه مفردات خاصة به، وهذه المفردات تؤدي إلى تخصيب الصورة وإغناء مناخاتها.

يلجأ المبدع إلى الصورة الرمزية بتوجيه من تجربته الشعورية المضطربة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية دون غيرها، فهي «ذات إيحاء جم، و مظهر إيجاز واضح» (ناصف، ١٩٨١م: ١٥٧)؛ و النفس البشرية عرضة لحالات فكرية و عاطفية بالغة التعقيد لا يمكن – أحياناً – تبسيطها أو تحليلها، و لا يتأتى التعبير عنها بالأسلوب المألوف، فلا يعود أمام المبدع – عندها – إلا سبيل الصورة الرمزية التي تثير في نفس المتلقي حالات مشابهة، عند تفاعله مع تلک الصورة بشكل مناسب (كندي، ٢٠٠٣م: ٣٢).

اجتمعت لدى الشاعر يحيى السماوي حصيلة كبيرة من الرموز في مسيرته الشعرية الطويلة، يستوحيها الشاعر من واقع الإنسان و علاقته بهذه الرموز التي تحمل مدلول استمرار الحياة و الأمل و الوطنية التلقائية. فهو يسخّر الأبعاد الإيحائية لهذه الرموز من أجل خدمة قضيته الوطنية. و الرمز في شعره بديل واضح عن أسلوب التعبير الواقعي و محاولته لتخطي الواقع الذي لا يتيح حرية التعبير المباشرة.

و ثمة في تجربة السماويّ الشعريّة رموز تراثية كثيرة ذات معطيات دلالية في ذاتها، و من هذه

Archive of SID

www.SID.ir

الرموز الخصبة التي ألحّ الشاعر على تكرارها لغزارة دلالاتها، شخصية الإمام الحسين (ع) بصفته رمزاً للنضال و التحدّي و مجابهة الظلم و العدوان.

٦. استدعاء الشخصيات في شعر السماوي

يحيى السماوي من أبرز الشعراء المعاصرين الذين أحسنوا استدعاء الشخصية التراثية في شعرهم و ذلك يعود إلى اطلاعه العميق على التراث العربي و الإسلامي وقد وجدناه يلحّ على استدعاء بعض الشخصيات دون غيرها للتعبير عن رؤيته الفنية.

يُعد توظيف الشخصيات والرموز التراثية سمة بارزة في شعر السماوي، وهي تشير إشارة جلية إلى عميق قراءته للتراث، وقدرته على استغلال عناصره ومعطياته التي من شأنها أن تمنح القصيدة فضاء شعرياً واسعاً غنياً بالإشارات والدلالات.

يسعى السماوي إلى استخدام الشخصيات الإسلامية وسيلة للإعادة والإلحاح والتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الواقع، ولهذا فهو لم يكن معنياً بتكرار اسم بعينه بقدر ما يبحث عن قيم ومبادئ تتمثل في الأشخاص.

و الشخصيات التي يستدعيها السماوي في منجزه الشعري هي – أحياناً – رموزٌ قياديون في التاريخ الإسلامي و العربي يستلهم منها دروس التاريخ و العبرة، و قوة العقيدة و استمراريتها و حيويتها عبر القرون؛ وقد تحولت إلى مؤشرات يقاس بموجبها كل حدث معاصر و سنلاحظ كيف يستلهم السماوي وقفة الإمام الحسين (ع) في كربلاء وقوة صموده و صلابته و صبره و تحوله إلى قيمة مطلقة للشهادة في سبيل المبادئ و الحق، هذه القيمة التي ثبتت بالاستشهاد و الدم.

و من اللافت للانتباه أن شخصيات الشاعر المستدعاة كانت شخصيات متمردة و لكنّها لم تشكل تمرداً جماعياً، و لذلك منيت بالهزيمة، فاختار السماوي لحظة انهزامها لكنها توافق واقعه.

و الصور التي يرسمها الشاعر لهؤلاء الأبطال تتلألأ فخراً و مهابة و جمالاً و زهواً حيث يجعل كلاً منهم رمزاً و أمثولة تُحتذى بعد أن يجسّد بطولاتهم، و يضع الأجزاء الصغيرة للموقف تحت العين الفاحصة، فيعطي المفاهيم و المعاني مزيداً من التألق و اللمعان و البهاء و الشموخ بألفاظه المناسبة و اشتقاقاته الرائعة و تشبيهاته الجميلة المذهلة و استعاراته الجديدة غير المكررة.

استدعاء يحيى السماوي لهذه الشخصيات أو تلك التي تناغمت في دلالتها مع الوجدان العربي هو دليل انتمائه لأمته، فالإمام الحسين (ع) و أبوذر الغفاري يرمزان إلى البطل العراقي.

Archive of SID

www.SID.ir

٧. استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع)

إن من جملة عشرات بل مئات الخصائص التي تنفرد بها الأمة الإسلامية بفضل القرآن والإسلام وأهل البيت، هي أن لهذه الأمة قدوات كبيرة؛ و للقدوات أهميتها في حياة الشعوب، فإذا ما وجد لدى أمة شخصية فيها نفحة عظمة، فإن تلك الأمة لا تنفك عن تمجيد تلك الشخصية والتغني بها وتخليد اسمها، من أجل توجيه المسار العام لحركة تلك الأمة في الاتجاه المتوخَّي لها، وهذا كله نابع من حاجة الأمة لرؤية قدوات كبار تمثل أمام عينيها، وهذه الظاهرة موجودة في الإسلام على نحو وافر ومنقطع النظير، و من أكابر تلك القدوات شخصية أبي عبد الله عليه السلام إمام المسلمين وسبط الرسول، والشهيد الكبير في تاريخ الإنسانية؛ فقد أقبل المسلمون و على رأسهم الشيعة على الإشادة و الاحتفاء بهذه الشخصية العظيمة فاعتبروها رمزاً للتعبير عن القيم و الاتجاهات النضالية.

لا شک أنّ الرمز ينطوي على معانٍ ودلالات عظيمة في حياة الفرد، ويكون أشد تأثيرا عندما يقترب ذلك الرمز من التقديس والهيبة؛ فيفرض على الفرد أن يحتفي به ليعبر تعبيرا حقيقيا عن تلك المعاني، خصوصا إذا كانت قيمة الرمز تتسامى على الوجود المادي للمرموز له. فالإمام الحسين عليه السلام في موقفه البطولي فرض على الملأ وجودا ذا قيم عالية جدا حتى صار رمزا لكل القيم في الاستشهاد من أجل المبدأ الذي آمن به. لقد جاء الحسين(ع) "بفكرة"، هي فكرة التصدي لسلطة طاغية متجبرة في الأرض، ولعظمة تلك الفكرة استحقت أن تكون "فكرة سامية" و"معنى مقدّساً".

شخصية الإمام الحسين (ع) لا تأتي لمجرّد الدلالة على شخصياتٍ موجودةٍ على أرض الواقع بقدر ما تدلُّ على قيمٍ و أفكار و معانٍ سامية و نبيلة. ففي الشعر العربي المعاصر يستحضر الشاعر مأساة كربلاء ليأخذ منها نموذج التضحية و الفداء قبل البكاء و الأسى على ما جرى لأهل البيت (ع)، فالإمام الحسين (ع) رمزٌ خالدٌ للتضحية و الإيثار من أجل المبدأ / الدين، و هو رمز الباحث عن العدالة و نُصرة المستضعفين في وجه الجبروت.

فالاحتفاء بقضية عاشوراء كرمز روحي ليس مجرد استذكار أمجادها أو ذكر فضائلها ومآثرها، ولا البكاء والنحيب على مقتل الإمام الحسين رغم استسلامنا لذلك الموقف المذهل وذرفنا للدموع، إنما هو إحياء لمعانٍ ومواقفَ ودلالات تلك الحادثة التي حفرت في تأريخ الإنسانية أثرا لم تُزِلْهُ كل متغيرات الحياة، إحياء من شأنه أن ينقلنا إلى الأجواء الروحية النقية الخالصة للحسين وأهل بيته (ع).

إن حالات الرفض التي استحضرها الشعراء ليواجهوا بها حيرة هذا الزمان واشتداد الطغيان فيه هي إشراقات الوعي و الاستشهاد في سبيل الحرية.. وإذا كانت هذه الرموز غائبة عن الرسمي من الكتب

Archive of SID

www.SID.ir

فإنها حاضرة في صدور الناس و وجدانهم تمثل احتجاجهم على فشل الواقع.

و أبرز من فتن الشعراء من شخصيات الرفض شخصية الحسين(ع) ـــ وتكاد تكون أكثر شخصيات الموروث التاريخي شيوعاً في عصرنا المعاصر ـــ فقد رأى الشعراء في الإمام الحسين(ع) المثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أن معركته مع قوى الباطل ستؤدي إلى شهادته وشهادة أصحابه، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها، موقناً أن هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والخلود، وأن في استشهاده انتصاراً له و لقضيته (عباس، ١٩٧٨م: ١٦١)؛ يقول يحيى السماوي:

أخفتَ الموتَ حتى خرَّ ذُعراً
فأنتَ الحيُّ والموتُ الدَّفينُ
جهادُكَ آخِرُ الآياتِ خُطّتْ
بنور العرشِ سُورَتُها "حُسَينُ" (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

فقد استدعى السماوي شخصية الإمام الحسين بهذه الدلالة ليعبر من خلالها عن أن الهزيمة التي تتلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها المادي أو المعنوي ـــ إنما هو انتصار على المدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا.

تشكِّل شخصية "الحسين بن علي" و واقعة "كربلاء" ، تراجيديا البطولة الساعية إلى تحقيق التغيير الحضاري في المجتمع الإسلامي في العصر الأموي، لكن مقابلة هذه الثورة بالقمع والتنكيل أدى إلى فشلها، وإلى موت مأساوي لبطلها ومشعل وقودها "الحسين بن علي"، ولم يكن سبب هذا الفشل نقصاً أو قصوراً في دعوة صاحبها أو مبادئه، وإنما سببها أنها كانت أكثر مثالية ونبلاً من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله (عشري زايد، ١٩٩٧م: ١٢١).

لقد كان الإمام الحسين صاحب قضيتين: سياسية وأخلاقية ضد الفساد الذي استشرى في المجتمع الأموي، ولذلك تسابق الشعراء في تصوير هذه الشخصية باعتبارها صاحبة قضية إنسانية كبرى تتسم بالأخلاق النبيلة، وترفض الواقع، وتقف وحيدة في أرض المعركة بعد أن تقاعس أشياعها عن نصرتها والدفاع عن مبادئها النبيلة، وهي صورة تاريخية يمكن اعتبارها معادلاً دلالياً لسلبية الأمة وتخاذلها عن نصرة الحق والخير في العصر الحاضر، وبذلك سقط صاحب هذه الدعوة شهيداً من "شهداء الحب".

و بهذا يصبح "الحسين بن علي"(ع) بطلاً تاريخياً، ويصبح موته مثالاً يحتذى به في التضحية والفداء من أجل القضية.

Archive of SID

www.SID.ir

الشاعر يرى في الإمام الحسين المثل الأعلى و الأروع في الثبات على الحق؛ و هو الذي دفع حياته ثمناً له، و استشهد في سبيله، و هو إذ ذاک يناصر الإسلام، و يقتدي بهدي جده رسول الله (ص)، و لقد سجل باستشهاده صفحة ناصعة في تاريخ الإسلام، جعلته من الأبطال الأوائل الذين نعتز بتاريخهم و سيرتهم و نقتدي بهم. و يظل استشهاد الإمام الحسين في كربلاء يلهم الشعراء، متخذين من الحسين رمزاً للبذل و التضحية بالذات في سبيل الحق (المرزوقي، ٢٠٠٥م: ١٨٨ و ١٨٩).

و لعل حادثة كربلاء بما تمثّل من رمزية للمأساة بكل معانيها، كانت من أكثر الصور و الحوادث ترداداً في دواوين الشعراء. و لعل السبب في ذلک يعود إلى أن من الشعراء من يرى في شخصية الإمام الحسين (ع)، الممثّل الحقيقي لكل دعوة نبيلة انطلقت و ثارت على واقع ظالم، و لم يقدر لهذه الدعوات و الثورات أن تصل إلى أهدافها، فكانت نتيجتها الفشل و الهزيمة؛ لا لعيب أو قصور في مبادئ أصحابها، و إنما لكون دعواتهم قمة في النبل و المثالية لا تتوافق و الواقع الفاسد آنذاک (عشري، ١٩٩٧م: ١٢١).

و الشعراء ينتظرون ثورة تتسم بهذه المبادئ المثالية، ثورة حسينية حقيقية بعيدة عن التزييف و التزوير؛ ثورة يدفع فيها صاحبه حياته ثمنا لدعوته. لذلک اهتم بها الشعراء و أكثروا من توظيف هذه الشخصية في شعرهم. و لا نكاد نجد شاعرا يخلو ديوانه من ذكر لها. و أصبحت ثورة الحسين منتجعا لأفئدة و أهواء كل من ثاروا على ظلم، أو ثاروا من أجل قضية شرعية أو إسلامية. يقول السماوي مخاطباً الإمام الحسين (ع):

فأنتَ لكلِّ ذي عزمٍ حُسامٌ
و أنت لكلِّ مذعورٍ حُصونُ (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

و كما يقول في رثاء الشهيد كامل شياع:

و الناهضين إلى الصباح
و ناسجي ثوبِ المحبّةِ
من حرير الياسمينْ
باسم الحسين..
و باسم موسى..
و ابن مريم..

Archive of SID

www.SID.ir

باسم كلّ الطيبينْ (السماوي، ٢٠١٠م: ٩)

إن السماوي يقدّم رمز الحسين (ع) كبطل عظيم وشجاع بدلالات القيم النفسية والحسية. فالحسين (ع) في شعرالسماوي بطل التراجيديا وليس مجرد بطل التاريخ الحقيقي؛ و في ظل هذه الظروف المأساوية التي يعاني منها العراق و عموم البلاء و قلّة المعين يخاطب الشاعر الإمام الحسين (ع) و يطلب منه أن يقوم بثورة جديدة:

أبا الأحرار هلّا قمْتَ فينا؟
فقد عمَّ البلاءُ .. ولا مُعينُ
فيا مَنْ " حاؤهُ " حَقٌّ وحِلمٌ
و يا مَنْ " سِينُهُ " مُنْحٍ سَفينُ
و يا مَنْ " ياؤهُ " يُسْرٌ ويَمٌّ
و يا مَنْ "نونُهُ" نورٌ مُبينُ (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف)

و يأخذ رمز الحسين موقعاً عميقاً في بعض قصائد السماوي؛ فقد كتب الكثير من القصائد التي تتضمن الفكر الحسيني كقصيدة "يا آل ياسر" المنشورة في مجموعة "قلبي على وطني" وقصيدة "نداء إلى أبي ذر الغفاري" ... وثمة قصائد كثيرة تتضمن هذا المنحى، كقوله في قصيدة "عصفا بهم "من مجموعة "نقوش على جذع نخلة " مخاطبا الشعب العراقي:

حاشاك تنثرُ للغزاة ورودا
فلقد خُلِقتَ كما النخيل عنيدا
لازال فيك من "الحسين" بقيّةٌ
تأبى تُبايعُ في الخنوع " يزيدا" (السماوي، ٢٠٠٥م: ١٢)

و في الأبيات التالية يكرّر الشاعر نفس المعنى و الفكرة:

هل هذه بغداد؟ كنتُ عرفتها
تأبَي مهادنةَ الدخيلِ العاقِ
تأبَي مساومةً على شرف الهوى
فتذودُ دونَ شذاه بالأرماقِ

Archive of SID

www.SID.ir

ورثت عن "المنصور" صهوةَ عزمه
و عن "الحسين" مكارمَ الأخلاقِ (المصدر نفسه: ١٦٥)

فالشعب العراقي لازال فيه بقيّة من فكر الإمام الحسين(ع) و منهجه النضالي و قد ورث منه مكـــارم الأخلاق.

يجيبُ الشاعرُ ردّاً على تعليق في موقع المثقف حول قصيدته "يا سيدي الحسين" كما يلي: « إنني أرتعب رهبة حين أزمع الكتابة عن أهل البيت الأطهار فترتجف أضلاعي قبل أصابعي الممسكة بالقلم، فلا أصعب عليّ من رهبة الوقوف بين أيديهم المطهرة المباركة.

أبوح لك بأمر: لقد كتبت الكثير عن الحسين ومسلم بن عقيل والعباس وزينب ـــ عليهم السلام أجمعين ـــ في شبابي لكنها لا ترقى إلى مستوى الطموح فتركتها ... فمثلا : كتبت عددا غير قليل من المنظومات الدينية / السياسية والتي يُطلق عليها في اللهجة الشعبية الجنوبية العراقية مصطلح " بستات " ... كتبتها لأحد مواكب العزاء في السماوة» (السماوي «ي»، ٢٠١١م، موقع المثقف).

و هذا لايعني أن كتابته كانت طائفية، فالحسين عليه السلام كان مثالا سماوياً / أرضياً كونيّـــاً للتسامح وكفى به رمزا لهذا التسامح أنه بكى على أعدائه خوفا عليهم من جهنم! أرأيت مقتولا يبكي على مصير قاتله؟!

فهو يكشف بتكراره لمأساة الإمام الحسين عن صدى انكساري معيّن، أو شعور نفسي ضـــاغط على ذاته كالقلق و الوجع، والغضب، والشعور بالأسى والحزن والتوتر، كما في قوله:

"طفلٌ بلا ساقينْ
وطفلةٌ مشطورةٌ نصفينْ
وطاعِنٌ دونَ يدٍ
وامرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ
وكُوَّةٌ في قبَّةِ "الحسينْ"
جميعها: حصادُ طلقتينِ من دبابةٍ
مرَّت بـــ "كربلاءْ"
تحيَّةً ليومِ "عاشوراءْ" (المصدر نفسه: ١٢٥)

يعلّق الناقد السوري الأستاذ عصام شرتح على هذا المقتبس كما يلي: « يـــأتي تكـــرار الأصـــوات المجهورة، ممثلة بالنون والهمزة مكثفاً الصدى الانفعالي للذات الشاعرة، وباعثاً شعوريًّا على الإحساس

Archive of SID
www.SID.ir

بالأسى الشعوري، إزاء ما يحدث في العراق من جرائم واغتيالات؛ إذْ إنَّ تنوين الكسر وتنوين الرفع؛ جاء كاشفاً عن الحركة النفسية الدالة على الشعور بالحزن، والأسى المرير على الجرائم التي يقترفها المحتل في العراق دون رحمةٍ أو شفقة؛ وهذه الجرائم استرجاع لجريمة مقتل الحسين. هكذا جاءت الأصوات فاعلة في تحفيز الرؤية وتعميق الشعور الانفعالي الحزين إزاء كلّ المصائب والآلام العاصفة التي تمر على الشعب العراقي ابتداءً من جريمة اغتيال الحسين إلى الجرائم الكثيرة التي تحدث في العراق» (شرتح(آ) ،٢٠١١م: ٣٣٧).

كما نلاحظ أنّ الكثافة التكرارية في استدعاء شخصية الإمام الحسين (ع) لها أثر في نفس المتلقى؛ و التكرار هنا تكرار معنى، و ليس تكرار لفظ، إذ إنه اكتسب مواقعه عند الناس من خلال ما قام به من بطولات، كان لها بالغ الأثر في النفوس. و السماوي استطاع أن يوظّف هذه الشخصية من خلال هذه الكثافة التكرارية للمعنى خدمة لنصه بما ينسجم مع تطلعات المتلقى.

النتيجة

لقد وجدنا السماوي في منجزه الشعري يركّز على استدعاء بعض الشخصيات التراثية بما فيها شخصية الإمام الحسين(ع). فهذه الشخصية الخالدة تحمل في ثناياها دلالات نفسية و انفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري. اتّخذ السماوي من استدعاء هذه الشخصية أداة جمالية تخدم الموضوع الشعري وتؤدي وظيفة أسلوبية؛ فكان يضفي عليها مشاعره الخاصة؛ فهي بمثابة لوحات إسقاطية يتخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات التي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية أيضاً.

فالإمام الحسين (ع) رمزٌ للحرية و الاستشهاد والخصب والانبعاث، وهو بمثابة ملاذ آمن للشاعر، يحاوره و يخاطبه راجياً أن يجد بريق الخلاص والطمأنينة. والشاعر يشعر بأنّه عاجز عن التفكير بالحقيقة وهو يطوف حول هذا المخلّص «الإمام الحسين (ع)» بحزن شديد، يلتمس منه الحياة والأمل إلى قلبه الميت والمكتئب؛ فهو الأمل الوحيد لنفخ الحياة الجديدة والحرية في العالم، وشجاعته وكفاحه هو الدواء الذي سيضمد جروح المظلومين والأبرياء. كذلك الإمام الحسين رمز الإنتصار للقدرة الحقيقية والخالدة لدم الشهداء والمناضلين.

Archive of SID

www.SID.ir

المراجع

المنابع العربية

١.اسماعيل، عزالدين (١٩٧٢م)، **الشعر العربي المعاصر، قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية**، ط٢، بيروت: دار الثقافة.

٢.حداد، على (١٩٨٦م)، **أثر التراث في الشعر العراقي الحديث**، ط١، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية).

٣.سليمان، خالد (١٩٨٧م)، **في الشعر العربي الحر**، إربد، منشورات جامعة اليرموك.

٤.السماوي، يحيى (١٩٩٧م)، **هذه خيمتي. فأين الوطن؟** ط١، استراليا: ملبورن.

٥.--------- (٢٠٠٥م)، **نقوش على جذع نخلة**، استراليا: منشورات مجلة كلمات – سيدني.

٦.--------- (٢٠١٠م)، **لماذا تأخرت دهراً**، دمشق: دار الينابيع.

٧.شرتح، عصام (٢٠١١م)، **آفاق الشعرية: دراسة في شعر يحيى السماوي**، ط١، سوريه: دار الينابيع.

٨.عباس، إحسان (١٩٧٨م)، **اتجاهات الشعر العربي**، ط١، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

٩.عشري زايد، علي (١٩٩٧م)، **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٠.فاطمة الزهراء، محمد سعيد (١٩٧٢)، **الرمزية في أدب نجيب محفوظ**، بيروت.

١١.كندي، محمد علي (٢٠٠٣م)، **الرمز و القناع في الشعر العربي الحديث، السياب و نازك و البياتي**، ط١، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

١٢.المرزوقي، عبدالله فرج (٢٠٠٥م)، **الشعر الحديث في قطر: تطوره و اتجاهاته الفنية**، ط ١، قطر: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و التراث.

١٣.مفتاح، محمد(١٩٨٦م)، **تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)**، ط٢، المغرب: المركز الثقافي العربي.

١٤.ناصف، مصطفى (١٩٨١م)، **دراسة الأدب العربي**، القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر.

المنابع الإنترنتية

١٥.السماوي، يحيى (٢٠١١م)، **"يا سيدي الحسين"**، المثقف، العدد ١٩٥٦:
http://www.almothaqaf.com/index.php?option=com_content&view=article&id=57543:q--q---& catid= 35: 2009- 05-21-01-46-04&Itemid=55

Archive of SID

www.SID.ir

فراخوانی شخصیت "امام حسین (ع)" در شعر یحیی سماوی

رسول بلاوی[۱]، مرضیه آباد[۲]*

۱- دکترای زبان و ادبیات عربی، دانشگاه فردوسی مشهد

۲- دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه فردوسی مشهد

mabad@ferdowsi.um.ac.ir

چکیده:

فراخوانی شخصیت های سنتی در شعر معاصر از تکنیک هایی به شمار می رود که برای باروری متـون ادبـی و غنی سازی آنها کاربرد دارد. این شخصیت ها به ویژه شخصیت های اهل بیت (ع)، بنا به شرایط ویـژه ی آنهـا، دارای دلالتها و دیدگاه های نوینی هستند که در باروری متون نقش به سزایی دارند.

یحیی سماوی شاعر عراقی تلاش کرد تا از این شخصیت ها ابزاری هنری، جهت بیان دیدگاه‌های خود پدید آورد. از جمله مهم‌ترین شخصیت هایی که در قالب رمز تجلی یافته، شخصیت "امام حسین (ع)" می باشد، این شخصیت مذهبی، بسیار در شعر این شاعر تکرار می شود، اما نه به معنای حقیقی آن، بلکه با دلالتهـا و دیـدگاه های جدید، و أغلب نماد ازخودگذشتگی، ایثار، پایداری، عدالت و نجات دهنده مردم از ظلم و ستم حاکمان جور می باشد.

مقاله حاضر بر آن است که بر مبنای روش توصیفی – تحلیلی، به شخصـیت امـام حسـین (ع) و دلالتهـای نمادین آنها در شعر یحیی سماوی بپردازد، و در آن به بررسی سه دیوان از شعر یحیی سماوی "هـذه خیمتـی.. فأین الوطن"، و "نقوش علی جذع نخلة"، و "لماذا تأخرت دهراً" پرداخته شده است.

کلیدواژه‌ها: شعر معاصر عراق، یحیی سماوی، سنت، نماد، امام حسین (ع).

Archive of SID

www.SID.ir

Call personality "Imam Hussain" in Yahia Alsamawy's Poem

R. Ballawi[1], M. Abad[2*]

1- Ph.D. in Arabic Language and Literature, Ferdowsi Uni. Of Mashhad
2- Assoc. Prof., Dept of Arabic Language and Literature, Ferdowsi Uni. Of Mashhad

mabad@ferdowsi.um.ac.ir

Abstract:
Traditional characteristics in modern poetry are used to enrich the literary texts. These charecteristics, especialty those of Ahle Beit (the progeny of Prophet Mohammad, Pbuh) have new connotations and perspectives in the literary texts.

The Iraqi poet, Yahya Al_Samavi, has strived to enjoy the religious charactors as an art device to express his ideas. Imam Hussein (Pbuh) is one these charactors appeared in the form of symbol. Imam Hussain is the most prominent motif in Yahia Al_Samawy's poem, and often symbolizes devotion, dedication, persistence, justice, and saving people from the tyranny of rulers.

Eploying analytic – descriptive method, we try to discuss and analysis the motif phenomenon in Yahia Al_Samawy's poem. This article surveys three works of poet: "Hazehi khymati fa ein al wattan?", "Neqosh ala jeza' nakhle", and "Le maza ta'akharte dahran?"

Keywords: Iraqi poetry, Yahia Al-Samawy, Tradition, Symbol, Imam Hussain.

Archive of SID

www.SID.ir